التكرار وأثره في تماسك النص "جزء عم أنموذجًا"

أ. نورة عبد الله البريت

ملخص

يهدف البحث إلى بيان أثر التكرار في تماسك النص، وذكر أنواع التكرار وتصنيفها وبيان قيمتها ووظيفتها في تماسك النص، وكيف يتضح ذلك في الربط المعجمي، وقد اختارت الباحثة التطبيق على القرآن الكريم ليس لبيان نصيته وتأكيدها، وإنما لدراسة الظاهرة دراسةً وصفية تحليلية، وتم تحديد جزء عم لأنه يمثل أنموذجًا كافيًا لبيان هذه الظاهرة، وحُدِدت الدراسة في خمسة مباحث هي: (التكرار الكلي التكرار الجزئي، التضام، التكرار بالإحالة، التكرار التركيبي) وخلص البحث إلى مجموعة من النتائج أهمها: أن للتكرار أثر كبير في الترابط بين آيات السور، وتماسك نصوصها، وأن سور جزء عم اشتملت على كل أنواع التكرار وأشكاله، وأن أثر التكرار يتعدى تماسك النص إلى أغراض أخرى فرعية وبلاغية وإقناعية تساهم في ترابط النص وبيان قضيته.

مقدمة

لقد توجه البحث اللغوي في الآونة الأخيرة إلى تحليل النصوص بوصفها أكبر وحدة قابلة للتحليل، فتخطى بذلك حدود الجملة إلى محيط النص، لأن اجتزاء الجملة وعزلها عن سياقها يعد قصورًا في الدراسات اللغوية، وقضية التماسك النصي من القضايا التي عُني بها علم اللغة النصي بوصفها الشرط الرئيس لكون الكلام نصًا وبها نفرق بين النص ولا نص، ولتماسك النص وسائل متعددة منها (التكرار) الذي سأبين في هذا البحث أهميته كوسيلة من وسائل تماسك النص القرآني، حيث إنّ القرآن الكريم أوضح نص تتجلى فيه مظاهر التماسك النصي، فهو النص الإلهي المعجز في لفظه ونظمه ومعناه، الذي بدأت الدراسات حوله منذ خمسة عشر قرنًا ولم تتوقف إلى يومنا هذا، وليس الهدف من هذا البحث إثبات نصية القرآن الكريم بل الهدف دراسة ظاهرة التكرار ومدى تأثيرها في تماسك النص القرآني، ونظرًا لصعوبة تطبيق ذلك على القرآن بكامله، اخترت جزء عم أنموذجًا لبيان ذلك الأثر، وهو كاف في معرفة هذه الظاهرة فعند النظر في سوره نجد أنها مليئة بالتكرار بأنواعه المختلفة، فالبحث يهدف إلى بيان هذه الأنواع وتصنيفها وبيان قيمتها ووظيفتها في تماسك النص، وسيجيب البحث عن عدد من التساؤلات أبرزها: ما التكرار؟ وما أنواعه التي توفرت في نص سور جزء عم؟ وما الأثر الذي تركته هذه الأنواع في تماسك نص سور جزء عم؟، ويقوم البحث على المنهج الوصفي التحليلي، حيث تُمثل كل سورة من سور جزء عم نصًّا مستقلًا بذاته يحوي تكرارًا متنوعًا له أثره في تماسك السورة من بدايتها وحتى انتهائها، وسأعتمد في هذا البحث على جمع هذا التكرار أولًا فتصنيفه إلى أنواع، ثم بيان أثر كل نوع وقيمته الوظيفية في تماسك النص.

وقد بدأتُ بحثي بعد هذه المقدمة بتمهيد احتوى على مفهوم التكرار لغة واصطلاحًا، وأنواعه، وأغراضه، ثم خمسة مباحث تحدثتُ في المبحث الأول عن التكرار الكلي، وفي المبحث الثاني تناولت التكرار الجزئي، أما المبحث الثالث فكان عن التضام، وفي المبحث الرابع تحدثت عن التكرار بالإحالة، والمبحث الخامس عن التكرار التركيبي، وفي كل مبحث من هذه المباحث تطرقت للمفهوم والأنواع ثم الأمثلة على هذا المبحث من آيات جزء عم وما لهذا التكرار من فائدة في تماسك النص، وفي نهاية البحث أوردت خاتمة عرضت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج.

تمهيد

التكرار في اللغة

أصل صحيح يدل على جمع وترديد، من ذلك كررت، وذلك رجوعك إليه بعد المرة الأولى، فهو الترديد(١) والتكرار مصدر على وزن تَفعال، ومنه: كرّ عليه يكرّ كرّاً وكرورًا وتكرارًا، ولقد فرق الجوهري بين التَكرار والتِكرار حيث جاء في الصحاح: «تِفعال بالكسر اسم، و تَفعال

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

بالفتح مصدر »(٢)،كررت الشيء تكرارًا وتكريرًا، ويقال: كرّرت عليه الحديث وكركرته: إذا رددته عليه، وكركرته عن كذا: إذا رددته والكرّ: الرجوع على الشيء (٣)، ولو نظرنا إلى التكرار في البلاغة فهو: « الإتيان بعناصر متماثلة في مواضع مختلفة من العمل الفني، وهو أساس الإيقاع بجميع صوره، فنجده في الموسيقى كما نجده أساسًا لنظرية القافية في الشعر »(٤) وعرفه الجرجاني بأنه: « عبارة عن الإتيان بشيء مرة بعد مرة » (٥)، وهو ما يسميه علماء البلاغة بالتجنيس أو الجناس، وقد فرق عبد القاهر الجرجاني بين التكرار القبيح والتكرار الحسن وذكر أن اللفظين لا يستحسن التجنيس بينهما إلا إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعًا حميدًا، وهناك إشارات للبلاغيين قديمًا توضح أهمية التكرار في تماسك النص وإن كانت نظرتهم له من ناحية البديع وتأكيد المعنى أقوى، منهم ابن الأثير و السجلماسي و ابن القيم، يقول ضياء الدين بن الأثير: « في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ النحل،١١٠،هذه الآيات يظن أنها من باب التكرار، وليس كذلك، فقد أنعمت نظري فيها فوجدتها خارجة عن حكم التكرير، وذلك أنها أطال الفصل من الكلام، وكان أوله يفتقر إلى تمام لا يفهم إلا به، فالأولى في باب الفصاحة أن يعاد لفظ الأول مرة ثانية، ليكون مقارنًا لتمام الفصل، كي لا يجيء الكلام منثورًا لا سيما في إن وأخواتها»(٦)،

أما التكرار عند علماء النص

هو «شكل من أشكال التماسك المعجمي التي تتطلب إعادة عنصر معجمي أو وجود مرادف له، أو شبه مرادف، ويطلق البعض على هذه الوسيلة (الإحالة التكرارية) وتتمثل في تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كل جملة من جمل النص قصد التأكيد، وهذا التأكيد في ظاهر النص يصنع ترابطًا بين أجزاء النص بشكل واضح» (٧) وكما أن له وظائف وغايات بلاغية فله وظائف على مستوى النص فهو يساهم في تماسك النص وترابطه وخلق صورة لغوية جديدة، وعرفه علماء النص بأنه: «إعادة ذكر لفظ أو عبارة أو جملة أو فقرة، وذلك باللفظ نفسه أو بالترادف وذلك لتحقيق أغراض كثيرة أهمها تحقيق التماسك النصي بين عناصر النص المتباعدة » (٨)، فوجود التكرار في النص يحقق التماسك والترابط بين وحدات النص سواء أكان هذا التكرار في بداية النص أم في نهايته أم بين ثناياه، وسواء كان هذا النص طويلًا أم قصيرًا، وللتكرار عدة معانٍ لغوية تدل على تماسك النص منها: الرجوع وإعادة الشيء أكثر من مرة وهذه هي الإحالة على مذكور سابق تؤدي إلى تماسك النص بين الاحق والسابق و من معانيها الجمع والضم والجماعة من الناس وكل هذه المعاني تدل على أن التكرار يساهم في وحدة النص وتماسك أطرافه وجعله وحدة متكاملة.

غايات التكرار:

للدارسين القدماء اهتمام كبير بما ورد في القرآن الكريم من تكرار، فمنهم من جعله توكيدًا خاصا بمسائل البيان ومنهم من قال: إنه أبلغ من التوكيد ومنهم من عده أصلا قائما بذاته، ولقد عدوا التكرار دون وظيفة تذكر عيب أو خذلان بعينه، كما حصروا غاياته والغرض منه في: « التشويق والاستعذاب، أو التنويه به والإشارة إليه أو التقرير والتوبيخ أو الوعيد والتهديد، أو التوجع أو الاستغاثة، أو الهجاء والازدراء و التهكم والتنقيص» (٩) وغيرها من الأغراض التي حصرها البلاغيون، جاء عن ابن الأثير قوله: «أعلم أنه ليس في القرآن مكرر لا فائدة من تكريره فإن رأيت شيئًا منه تكرر من حيث الظاهر فأنعم نظرك فيه فانظر إلى سوابقه ولواحقه لتتكشف لك الفائدة منه » (١٠)، وللتكرار في القرآن الكريم أغراض بلاغية منها التهويل والإنذار والتجسيم والتصوير، بالإضافة إلى ما له من أهمية في تماسك النص، حيث إنه وسيلة من أهم وسائل تماسكه وترابطه فقد ذكر اللسانيون وظائف عدة من أهمها تدعيم التماسك النصي وأنه يعطي منتج النص القدرة على خلق صورة لغوية جديدة.

أنواع التكرار عند علماء النص:

١- التكرار المحض (التكرار الكلي) وهو نوعان: تكرار مع وحدة المرجع: أي يكون المسمى واحدًا وتكرار مع اختلاف المرجع: أي والمسمى متعدد.

٢- التكرار الجزئي: ويقصد به « تكرار عنصر سبق استخدامه، ولكن في أشكال وفئات مختلفة »(١١)، أي التكرار الصرفي وذلك بتكرار الجذر الواحد بصيغ مختلفة، ويسمى بالتكرار الاشتقاقي.

٣- التكرار بالمرادف: ويقصد به « ما كان معناه واحدًا و أسماؤه كثيرة وهو ضد المشترك أخذ من الترادف الذي هو

ركوب أحد خلف آخر، كأن المعنى مركوب واللفظان راكبان كالليث والأسد» (١٢) والتكرار بالمرادف نوعان: « المرادف دلالة وجرس: وهو تكرار لكلمتين تحملان معنى واحدًا وتشتركان في بعض الأصوات والميزان الصرفي، و المرادف دلالة لا غير: وهو التكرار لكلمات مترادفة لا تشترك في الأصوات ولا في الميزان »(١٣).

٤- شبه التكرار: «هو نوع من التوهم، حيث تفتقد عناصره التكرار الكلي ويتحقق في مستوى التشكل الصوتي ليحقق نوع من التماسك، وهو ما يسميه البلاغيون بالجناس الناقص»(١٤)، ففيه تتكرر الوحدات الصوتية لتشد انتباه المتلقي وتصنع تماسكًا قويا بين أجزاء النص، وهذا النوع من التكرار يكثر في القرآن الكريم.

٥- التضام: « هو توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرًا لارتباطهما بعلاقات وهي: التضاد أو التنافر التي يدخل ضمنها الرتبة واللون والزمن، أو علاقة الجزء بالكل » (١٥).

٦- تكرار لفظ الجملة: « وهو عبارة عن تكرار نظم الجملة بكيفية واحدة، أي تكرار للطريقة التي تبنى بها الجمل وشبه الجمل، هذا التكرار يكون في ثنائيات من الجمل يظهر فيها هذا الترابط اللافت للنظر مما يزيد المتلقي جذبًا وتأملًا وإحساسًا بمعنى الترابط النصي »(١٦).

وسأتناول كل نوع من هذه الأنواع في مبحث مبينة مفهومه وأنواعه وأمثلة عليها من جزء عم مع ذكر أثرها في النص.

المبحث الأول: التكرار الكلي

يقصد بالتكرار الكلي تكرار الألفاظ والعبارات وفواصل الآيات بصورة كلية، ونجد هذا النوع من التكرار في جزء عم ذلك لأن أغلب سوره نزلت في مكة حيث العهد بالرسالة قريب والحاجة إلى اليقين أقوى، وتبدو أهمية هذا التكرار في قصار السور بوجه خاص حيث لا مجال للإطالة بإعادة لفظ أو تكرار جملة إلا أن تكون لهذه الإعادة أهميتها القصوى في التأثير والتقرير والإقناع والجزم، وهذا التكرار يساعد على تماسك النص ويحافظ على الترابط المفهومي و يبعد الرتابة التي يؤدي إليها مجرد التكرار، وإعادة اللفظ في هذه الحالة يمنح النص صورة لغوية جديدة لأن أحد العنصرين المكررين قد يسهل فهم الآخر، ويمكن تقسيم هذا النوع من التكرار إلى:

١- تكرار الألفاظ:

عند النظر إلى الألفاظ في جزء عم نجد أن ألفاظًا كثيرة جاءت مكررة تكرارًا كليًّا و من الأمثلة على ذلك: ما نجده في سورة النبأ التي جاءت لإثبات يوم البعث الذي أنكر الكافرون وقوعه فالآيات بدأت بتساؤلهم عن هذا اليوم الذي يعد القضية المحورية في نص السورة، ثم ذكر الله تعالى مجموعة من الأدلة التي تبين قدرته سبحانه على بعثهم بعد الموت ثم أوضح جزاء كلٍّ من المؤمنين والكافرين في يوم البعث، ويتوالى التكرار ليرسخ هذه الفكرة، فتكرار كلمة (يوم) بهذه الكثافة حيث تكررت في خمسة مواضع من السورة في الآيات:﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴿١٧﴾﴾ و﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾﴾و ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾﴾ وتكرر لفظ (جعلنا) تأكيدًا لإثبات قدرة الله تعالى في الآيات:، ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾و من الألفاظ التي تكررت تكرارًا كليًا (جزاء) و(الرحمن) و (رب) (كذابًا)، وأيضًا لفظ (الجبال) في قوله تعالى: ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾﴾ و ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾الذي ساهم في ترابط النص ففي بداية السورة جاء ليبين أنها مثل الوتد للخيمة تثبت الأرض قال علماء الأرض: « إن هذه الجبال لها جذور راسخة في الأرض، كما يرسخ جذر والوتد بالجدار ولذلك تجدها صلبة قوية لا تزعزعها الرياح »(١٧)، لكن تكررت بعد ذلك لتبين أن الله قادر على كل شيء فهو يوم البعث يدك هذه الجبال ويسيرها كالسراب.

وفي سورة النازعات يستمر سبحانه وتعالى في خطابه الموجه لمنكري البعث حيث ذكر في آخر سورة النبأ الإنذار بالعذاب يوم القيامة، وأقسم في سورة النازعات على البعث يوم القيامة، ثم ذكر قصة موسى مع الطاغية فرعون عبرة لهم وتسلية للرسول صلى الله عليه وسلم، وعند النظر للتكرار الكلي في السورة نجد أن لفظ (يوم) تكرر تكرار كليًّا في أربعة مواضع،

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

وتكررت الألفاظ (طغى) و (الجحيم) ولفظ (ضحاها) و(المأوى)، كما تكرر الفعل (أخرج) في كل من: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وتكررت كلمة (رب) مع اختلاف الضمير المتصل في الآيات: ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾﴾ ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ﴿١٩﴾ ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾ ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴿٤٠﴾ ﴿إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴿٤٤﴾، ساهم هذا التكرار في تماسك النص حيث إن هذه الألفاظ تكررت لتساعد في ربط النص بقضيته الأساسية وهي تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم بذكر قصة موسى مع فرعون وتمرده عليه حتى أدعى الربوبية وما آل إليه حال موسى من النجاة وحال فرعون من الهلاك تبشيرًا بهلاك من يكذبه ونجاته هو من أذاهم، ومن سور جزء عم المليئة بهذا النوع من التكرار سورة المطففين حيث تكرر لفظ (ويل) ولفظ (الناس) وتكرار الفعلين (آمنوا) و (يضحكون) في الآيتين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾وتكرار الفعل (انقلبوا) في الآية ﴿وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾﴾ جاء في التحرير والتنوير « تكرير الفعل (انقلبوا) بقوله: (انقَلَبُواْ فَكِهِينَ) من النسج الجزل في الكلام كان يكفي أن يقول: وإذا انقلبوا إلى أهلهم فكهوا، أو إذا انقلبوا إلى أهلهم كانوا فاكهين، وذلك لما في إعادة الفعل من زيادة تقرير معناه في ذهن السامع لأنه مما ينبغي الاعتناء به، ولزيادة تقرير ما في الفعل من إفادة التجدد حتى يكون في استحضار الحالة»(١٨)، كما تكرر لفظ (الكفار)، وفي سورة المسد التي جاءت « زجرًا لأبي لهب على قوله: تبًا لك، ألهذا جمعتنا ؟، ووعيده على ذلك، ووعيد امرأته على انتصارها لزوجها، وبغضها النبي صلى الله عليه وسلم» (١٩)، تكرر لفظ "لهب" تكرارًا كليًّا في قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾﴾ في اسم العلم "أبو لهب" محور السورة وقضيتها وكان يكنى بذلك لحسنه وإشراق وجهه بينما جاءت الثانية في قوله تعالى: ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾﴾ وصف للنار بأنها ذات لهب، هذا التكرار أدى إلى تماسك النص فكأن الله تعالى في بداية النص عندما ذكر الاسم أراد أن يربطه بالنار نار جهنم التي هي وعيد لكل مشرك كافر، وعند النظر لجزء عم بشكل عام نجد أن هناك بعض الألفاظ التي تكررت بكثافة منها: لفظ (رب) حيث تكرر في أربعة وأربعين موضعًا مع اختلاف الضمير المتصل به، ولفظ "يوم" في ستة وثلاثين موضعًا، ولفظ (الإنسان) في خمسة عشر موضعًا.

٢- تكرار شبه الجملة:

تكررت شبه الجملة من المضاف والمضاف إليه أو من الجار والمجرور تكرارًا كليًّا في جزء عم، مما ساهم في تماسك النص وإثبات قضاياه ذلك لأن هذ التكرار يربط الجمل بعضها ببعض ويجعل النص وحدة متكاملة، من ذلك ما جاء في سورة القدر حيث تكررت شبه الجملة من المضاف والمضاف إليه (ليلة القدر) في الثلاث آيات الأولى من هذه السورة لإثبات أهمية هذه الليلة، «فلقد صُرح به وكان من حقه الكناية رفعًا لمنزلتها، فإن الاسم قد يذكر بالتصريح في موضع الكناية تعظيمًا وتخويفًا»(٢٠)، وسورة الفلق التي نزلت « لتعليم الرسول صلى الله عليه وسلم كلمات للتعويذ بالله من شر ما يُتَّقى شره من المخلوقات الشريرة والأوقات التي يكثر فيها حدوث الشر » (٢١)، وجاء التكرار الكلّي في السورة في تكرار شبه الجملة من الجار والمجرور (من شر) في الآيات: مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

٣- تكرار الجملة:

تكرار الجملة تكرارًا كليًّا في جزء عم أشغل المفسرين في تأويله ففي سورة النبأ جاء تكرار العبارة في قوله تعالى: كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾، قيل: « التكرار للتأكيد وقيل: الأول للكفار، والثاني للمؤمنين»(٢٢) فساهم تكرار الجملة في هذه السورة في ترابط النص حيث إن محور السورة وقضيتها هو البعث فتكررت جملة (كلا سيعلمون) لتأكيد زجر الله سبحانه وتعالى لهم، وبيان أنّ كلًا من المؤمنين والكافرين سيعلمون حقيقة البعث يوم القيامة، وفي سورة الانشقاق تكررت الجملة ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ مع اختلاف المرجع ففي الآية الثانية جاءت للسماء وفي الآية الخامسة للأرض من قوله تعالى: إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾﴾ ويرى

الكرماني أن: « الأول متصل بالسماء والثاني متصل بالأرض، ومعنى أذنت سمعت وانقادت وحق لها أن تسمع وتطيع، وإذا اتصل واحد بغير ما اتصل به الآخر لا يكون تكرارا »(٢٣) ولكني أرى أنه من باب تكرار الجملة التي تساهم في ترابط النص، بل من بلاغة إعجاز القرآن الكريم أن تتكرر الجملة مع اختلاف المرجع، ومن ذلك أيضًا تكرار الآية ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ في سورة التكاثر: هذا التكرار ساهم في ترابط النص حيث إن الخطاب موجه لمن ألهاهم التكاثر، وأن التكرار فيه أدى إلى المبالغة في الزجر والتأكيد للوعيد والإلحاح في النذير(٢٤)، وأورد الرازي أربعة وجوه في التكرار:« أنه للتوكيد، وأنه وعيد للكفار، ووعد للمؤمنين، وأن الأول عند الموت والثاني في سؤال القبر، وأن إحدى الآيتين لعذاب القبر والأخرى لعذاب القيامة »(٢٥)، وفي سورة الشرح تكررت عبارة ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ وهذا التكرار ساعد في ترسيخ قضية النص وفي تماسكه وارتباطه ذلك أن سورة الشرح « احتوت على ذكر عناية الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بلطف الله له وإزالة الغم والحرج عنه، وتفسير ما عسر عليه »(٢٦).

٤- تكرار فواصل الآيات:

تكرار فواصل الآيات من أنواع التكرار الكلي وهو يُعطي النص كثافة موسيقية عالية، من ذلك تكرار لفظ (الناس) في سورة الناس ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ﴿٣﴾.... ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ وقد لاحظ ذلك علماء التفسير قال النسفي: «وقيل أراد بالأول: الأطفال، ومعنى الربوبية يدل عليه، وبالثاني: الشبان ولفظ الملك المنبئ عن السياسة يدل عليه، وبالثالث: الشيوخ، ولفظ الإله المنبئ عن العبادة يدل عليه، وبالرابع: الصالحين، إذ الشيطان مولع بإغوائهم»(٢٧) وهناك فريق آخر من المفسرين (٢٨) لا يقول باختلاف معاني ألفاظ فاصلة (الناس) في السورة الكريمة بل يقولون بالتكرار، الذي يجدون فيه وظائف معنوية ودلالية وجمالية أعظم من التأويل السابق يقتضيها سياق النص أو سياق الحال، فالتكرار إجراء أسلوبي نحوي أو تداولي أو جمالي بالإضافة إلى ما له من وظيفة في تماسك النص.

المبحث الثاني: التكرار الجزئي

يُقْصَد بالتكرار الجزئي تكرار الألفاظ بصيغ مختلفة، فهو يقوم على استعمال الجذر الواحد للمادة المعجمية نفسها مع اختلاف الصيغ، ويساهم التكرار الجزئي في تحقيق الترابط بين أجزاء النص من جهة وتأكيد قضاياه من جهة أخرى فتعدد الصيغ للجذر الواحد عن طريق الاشتقاق أو التحول من الفعل للمصدر، أو الزيادة أو النقصان في بنية اللفظ يساعد في تماسك النص واكتمال عناصره ويطلق عليه (hoey) التكرار المعجمي المركب حيث يشترك عنصران معجميان في مورفيم معجمي واحد(٢٩)، ويرى (نعمان بوقرة) أن هذا النوع يظهر نصيًا من خلال إعادة وحدة معجمية وظفت سلفًا بصيغ أخرى ويشير بذلك إلى أهميته والمتمثلة في كونه يثبت الصفة البنيوية للتكرار باعتباره ظاهره من الظواهر.

أسهم التكرار الجزئي في سورة النازعات في تماسك النص وترابط جمله، حيث جاء التكرار الجزئي في بداية السورة من قوله تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ بين الكلمات (الناشطات، نشطًا) و (السابحات، سبحًا) و (السابقات، سبقًا) و (ترجف، الراجفة) وفي الآيات: ﴿يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾و﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ و ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى ﴿١٨﴾ و﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾ بين الأفعال (يقولون قالوا، فقل، فقال)، ومن أوضح الأمثلة على التكرار الجزئي في جزء عم، سورة عبس حيث نزلت هذه السورة عتابًا للرسول – صلى الله عليه وسلم-« روي أنّ ابن مكتوم وكان أعمى أتى للرسول –صلى الله عليه وسلم- وعنده صناديد قريش عُتْبة وشَيْبة أبناء ربيعة وأبو جهل والعباس بن عبد المطلب وأُمَيَّة بن خَلَف والوليد بن المغيرة يناجيهم ويدعوهم إلى الإسلام، فقال يا رسول الله علمني وأقرئني مما علمك الله تعالى وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله قطعه لكلامه فعبس وأعرض عنه فنزلت فكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم- يكرمه ويقول إذا رآه مرحبًا بمن عاتبني فيه ربي»(٣٠)، التكرار الجزئي جاء في الآيات ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى ﴿٤﴾كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿١٢﴾ حيث الألفاظ (يذكر،

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

ذكرى، تذكرة ذكره) هذه الألفاظ جميعها من الجذر (ذ ك ر)، وفي سورة الفجر جاء التكرار الجزئي ليساهم في تماسك النص على النحو التالي: (أكرمه، أكرمن، تكرمون) في الآيات: ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَكَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وتكرار الفعل ومصدره في كل من: ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ (تأكلون، أكلًا) و (تحبون، حبًا) و (دكت، دكًا)، تكرار هذه الكلمات ساعد على تلاحم الجمل في النص، وأعطى النص صورة موسيقية بتكرار الفعل ومصدره وفق تناغم تام، هذا التناغم ليس على مستوى المتتاليات من الجمل فقط بل على مستوى النص ككل، ومن أهم الوظائف التي يؤديها التكرار في هذه الأمثلة هي ربط اللاحق بالسابق مما يؤدي إلى تماسك النص.

وفي سورة الطارق جاء التكرار الجزئي في مشتقات الجذر (ك ي د) في الآيتين: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ وفي اللفظين "مهل، أمهلهم"، من الآية: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾، وهذا التكرار تقديره: « مهل مهل مهل لكنه عدل في الثاني إلى أمهل لأنه من أصله وبمعناه كراهة التكرار، وعدل في الثالث إلى قوله رويدًا لأنه بمعناه، أي إروادًا ثم إرودًا، ثم صغر إرودًا تصغير الترخيم فصار رويدًا، وذهب بعضهم إلى أن رويدًا صفة مصدر محذوف، أي إمهالًا رويدًا، فيكون التكرار مرتين وهذه أعجوبة، ووجه العجب تصرف القرآن الكريم في الأسلوب بحيث يصلح بمقتضى التقدير موجزًا ومسهبًا في تركيب واحد »(٣١) و في سورة الكافرين في مشتقات الجذر (ع ب د) في كل من: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾، تكرر الجذر لتأكيد العبودية لله وحده دون سواه، ومما يميز التكرار الجزئي هو احتمالية تعدد أطرافه، إذ يمكن أن يشتق من المادة الواحدة أكثر من اشتقاق، ومن ثم يكون التماسك بين عدة ألفاظ، وليس بين لفظين فقط وحين تتوزع هذه الاشتقاقات على امتداد النص يبدو التماسك المعجمي شاملًا لهذا الامتداد(٣٢).

المبحث الثالث: التضام

يقصد بالتضام توارد زوج من الألفاظ بالفعل أو بالقوة نظرًا لارتباطهما بحكم أو علاقة تُسْهِم هذه العلاقة في تماسك النص وترابطه، وهو المعيار الثاني من المعايير النصية لدى "ديبوجراند وديسلر"(٣٣) وهو معيار يختص بالاستمرارية المتحققة في النص، « وبحسب "هاليدي" ثمت أزواج من الألفاظ متصاحبة دومًا فذكر أحدها يستدعي ذكر الأخر أي تتشكل العلاقة الرابطة لكلمة ما في لغة ما بكلمات أخرى معينة »(٣٤)، ومن علماء النَّص من يُطْلِق عليه اسم (المصاحبة المعجمية) ويراد به العلاقات القائمة بين الألفاظ كالتضاد والاشتمال والتنافر وعلاقة الجزء بالكل، ولو تتبعنا التضام في جزء عم وعلاقات الألفاظ في نصوص السور نجد أنها على النحو الآتي:

١- التضاد:

حيث ترتبط الكلمات مع بعضها البعض من خلال التقابل في المعنى، وهو أنواع منه التضاد الحاد، والتضاد المتدرج والتضاد الاتجاهي، وكلما كان التضاد حادًا أي كالنقيض عند المناطقة(٣٥)، كانت مساهمته في تماسك النص أقوى، ومن أمثلته: (ميت حي) و (متزوج، أعزب) و (ذكر، أنثى).

ومن الأمثلة على علاقة التضاد في جزء عم ما جاء في سورة الفجر قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ فعلاقة التضاد بين لفظي " الشفع، الوتر"، « حيث إن اللفظان يستعملان في العربية بالدلالة على العدد الزوجي والفردي »(٣٦) وفي سورة الشمس جاء التضاد بين الألفاظ (فجورها، تقواها) في الآية ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾، والفعلين (أفلح، خاب) في الآيتين ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾، ومما قيل في التضاد في سورة الشمس: «وفي هذه الآيات محسن الطباق غير مرة فقد ذكرت أشياء متقابلة متضادة مثل الشمس والقمر لاختلاف وقت ظهورهما، ومثل النهار والليل، والتجلية والغشي والسماء والأرض، والبناء والطحو، والفجور والتقوى، والفلاح والخيبة، والتزكية والتسدية»(٣٧)، وفي سورة الليل مجموعة من الألفاظ المتضادة في كل من (الليل، النهار) في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴿٢﴾ واللفظين (الذكر، الأنثى) في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٣﴾ والألفاظ (أعطى، بخل) و(اتقى، استغنى) (اليسرى، العسرى) و(صدق،

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

كذب) في الآيات: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿١٠﴾ و لفظي (الأخرة، الأولى) في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ﴿١٣﴾.

هذه المتضادات من الألفاظ أعطت النص اتساق ذلك لاعتمادها على التعالق الدلالي والتلازم اللفظي، مما جعل النصوص أكثر سبكًا ذلك لأن الارتباط يكون ارتباطًا قصديًا بذكر اللفظ وضده، فيضمن ترابط الأحداث واتساق النص واستمراريته.

٢- الاشتمال:

وهو تضمن من طرف واحد، أي يكون (أ) مشتملًا على (ب) حين يكون (ب) أعلى في التقسيم التصنيفي أو التفريعي مثل (فرس) الذي ينتمي إلى فصيلة أعلى وهي (حيوان)، واللفظ المتضمن على هذا يسمى بعدة أسماء منها (اللفظ الأعم أو الكلمة الرئيسية أو الكلمة الغطاء)(٣٨)، ومن الاشتمال أيضا ما يسمى بالجزئيات المتداخلة، ويعني ذلك مجموعة الألفاظ التي كل لفظ منها متضمن فيما بعده مثل (ثانية، دقيقة، ساعة، يوم، أسبوع، شهر، سنة)(٣٩).

ومن الاشتمال في سور جزء عم لفظي (السماء، الأرض) والتي تأتي متلازمتين غالبًا في القرآن الكريم وجاءت في العديد من سور هذا الجزء منها: سورة النبأ و سورة النازعات وسورة البروج وسورة الطارق، ومن الاشتمال أيضا مجموعة من الألفاظ التي تنتمي إلى حقل دلالي واحد أو إلى مجموعة محددة، ومن ذلك ما جاء في سورة عبس في قوله تعالى: ﴿فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ حيث ارتبطت الألفاظ (حبا، عنبا، قضبا، حدائق، زيتونا نخلا، فاكهة، أبا) مع بعضها البعض وأدى ارتباطها لتماسك النص وترابطه حيث تنتمي جميعها لحقل (النبات) المذكور فعله (أنبتنا) في نص السورة، وفي السورة نفسها مثال آخر على اشتمال مجموعة من الألفاظ لحقل دلالي واحد في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ فالألفاظ (أخيه، أمه، أبيه، صاحبته، بنيه) ارتبطت فيما بينها لانتمائها لحقل (القرابة)، وفي سورة التكوير من قوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾و قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾، وقوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ احتوت هذه الآيات على مجموعة من الألفاظ التي تنتمي إلى حقل (الكون) وهي (الشمس، النجوم، الجبال، البحار، السماء، الخنس) والخنس في القرآن قيل هي: كواكب سبعة: القمران و زحل والزهرة والمشتري والمريخ وعطارد (٤٠)، وفي سورة الفجر تدخل الألفاظ (عاد، إرم، ثمود، فرعون) من قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ تحت حقل (الأمم السابقة).

٣- علاقة الجزء بالكل:

"ويقصد بها أن يكون اللفظ جزءًا من لفظ آخر أعم منه، كالعلاقة بين اليد والجسم، فاليد ليست نوعًا من الجسم بل هي جزء منه "(٤١).

من ذلك ذكر (الإنسان) في كثير من سور جزء عم مع ذكر بعض أعضائه (كالقلب والبصر والعظام) في سورة النازعات في الآية: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ﴿٩﴾ وفي الآية: ﴿أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾، وذكر (اليمين، الظهر) في سورة الانشقاق في الآيتين:﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ و ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾، وذكر (النفس) في سورة الفجر في الآية: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ وذكر (العينين، اللسان، الشفتين) في سورة البلد ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾.

إذا هذه العلاقات بين الكلمات تخلق في النص ما يسمى التضام، فشعور المتكلمين –كما يرى (جون لايتر)- « يتجه إلى اعتبار أحد المتقابلين في التضاد ذا معنى إيجابي، والآخر ذا معنى سلبي، وليس ذلك عند المتكلم فقط، بل عند المتلقي أيضًا عند استقباله للنص ولهذا تصنع مثل هذه العلاقات تماسكًا نصيًا بدلالاتها المتناقضة »(٤٢).

المبحث الرابع: التكرار بالإحالة

الإحالة عند علماء النص: « هي ما يُطلق على قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عناصر أخرى مصورة في أجزاء أخرى من الخطاب»(٤٣)، وللإحالة نوعان:

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

١- إحالة خارجية: وهي ما تحيل على شيء خارج النص.

٢- إحالة داخلية: وهي ما تحيل إلى عنصر داخل النص، وتنقسم إلى قسمين:

أ- إحالة قبلية: وتحيل على شيء مذكور سبق التلفظ به.

ب- إحالة بعدية: وتحيل على عنصر إشاري مذكور بعدها.

وللإحالة أدوات أهمها: الضمائر، ثم أسماء الإشارة، فالموصولات، وأدوات المقارنة، ونظرًا لأن الضمائر من أكثر أدوات الإحالة استخدامًا ولها أكبر الأثر في تماسك النص وبها قد يتكرر اللفظ في أكثر من مرة، آثرت أن أكتفي في هذا المبحث ببيان التكرار بالإحالة بالضمير، والإحالةُ بالضمير هي أداة يلجأُ إليها المرسِلُ في سبيل إقامة نصّ متماسك، إذ ترتبط الإحالات بالجملة الأولى، ولا تعدو أن تكون الضمائر اختصارًا لبعض عناصر تلك الجملة الأولى، الأمر الذي يُسهّلُ على المتلقي ربط عناصر النص بعضها ببعض وإرجاع كل إحالة إلى مرجعها النصّي(٤٤)، سواء كانت هذه الضمائر ظاهرة أو مستترة، وتكمُن أهمية التكرار بالإحالة في عدم إمكانية تفسير الضمير إلا بالرجوع على ما يحيل إليه ومن ثم ترتبط الكلمة الثانية التي تحتوي على الضمير بالكلمة الأول، ويطلق عليها "الإحالة التكرارية" وهي أكثر أنواع الإحالة دورانًا في الكلام.

ومن الأمثلة على التكرار بالإحالة، الإحالة على سابق بالضمير في سورة النبأ في قوله تعالى: ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾﴾ حيث يعود الضمير في كل من (مختلفون، سيعلمون، تأتون، لابثين، لا يذوقون، كانوا، لا يرجون، كذبوا، ذوقوا) على الضمير المنفصل (هم) بداية السورة، وفي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾﴾ فالمرسل هنا الله سبحانه وتعالى والمخاطب المنكرين من الكافرين يعرض لهم سبحانه مجموعة من عجائب قدرته ليستدلوا على صحة البعث ويتكرر الضمير العائد على المرسل سبحانه في السورة في كل من: (خلقناكم، جعلنا، بنينا، أنزلنا، نخرج، أحصيناه، نزيدكم، أنذرناكم). إذًا نجد أن نص سورة النبأ منذ بدايته وحتى النهاية متعدد السياقات بين سياق التساؤل ثم إنكار البعث وطرح الله سبحانه للأدلة ثم بيان جزاء كل من المؤمنين والكافرين في ذلك اليوم، ورغم هذا التعدد يأتي التكرار الإحالي بالضمائر ليسهم إسهامًا واضحا في ترابط النص وتماسكه، ذلك لأن هذه الضمائر تحيل على ما تقدم من مذكور في النص فتتماسك الجمل في ما بينها عن طريق هذه الإحالة. وفي سورة عبس نجد التكرار بالإحالة بالضمير على سابق، كالضمير العائد على الرسول –صلى الله عليه وسلم– وهو المخاطب في بداية السورة في كل من (عبس، تولى، جاءه، ما يدريك، أنت، تصدى، ما عليك، جاءك، أنت، تلهى) والضمائر العائدة على (الأعمى) في قوله تعالى:﴿أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿٢﴾﴾في كل من الألفاظ (لعله، يزكى، يذكر، تنفعه، جاءك، يسعى، وهو، يخشى، عنه) والضمائر العائدة على (الصحف) في قوله تعالى:﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾﴾في الألفاظ (مكرمة، مرفوعة، مطهرة، بأيدي) والضمير المتصل العائد على (الإنسان) في كل من (ما أكفره، خلقه، فقدره، يسره، أماته، أقبره، أنشره، أمره)، وفي سورة التكوير مثلًا، الإحالة على لفظ (رسول) في كل من (كريم، ذي قوة، مكين، مطاع، أمين، وما صاحبكم بمجنون) وتكرار للعبارات وما تحويه من ضمائر دالة على القرآن الكريم في الآيات:﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾﴾،﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾،﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾، حيث اشتملت سورة التكوير على « التنويه بشأن القرآن الذي كذبوا به لأنه أوعدهم بالبعث، زيادة لتحقيق وقوع البعث إذ رموا النبي صلى الله عليه وسلم بالجنون، والقرآن بأنه يأتيه به شيطان »(٤٥).

المبحث الخامس: التكرار التركيبي

يقصد بالتكرار التركيبي تكرار بنية الجمل والعبارات، ويطلق عليه البعض التوازي « وهو تعادل فقرات الكلام وجمله كما في النثر المزدوج أو شطري البيت الواحد، من حيث الإيقاع والوزن، وأن يستمر هذا التوازن في النص كله، كالذي نجده في القصيدة الشعرية حيث يتكرر إيقاع كل شطر منهما في كل بيت منهما ويستمر حتى نهايتها، بحيث يكون الجناح الأيمن من القصيدة يوازي جناحها الأيسر من حيث الوزن والإيقاع، والتوازي قد ينظر إليه على أنه ضرباً من ضروب التكرار لكنه تكرار غير كامل وأخذ التوازي يشمل مستويات عدة منها الصوتي والنحوي والبلاغي والمعجمي »(٤٦) التوازي بمفهومه البلاغي هو « اتفاق أواخر القرائن في الوزن والروي، والتوازي سمة واضحة في الفواصل القرآنية في جزء عم فهو متحقق فيما يزيد عن أربعين موضعًا

»(٤٧)، ومن التكرار التركيبي تكرار الأصوات أيضًا « حيث تتخذ اللغة القرآنية أحيانًا من الصوت المتكرر وسيلة بلاغية لتصوير الموقف وتجسيمه، والإيحاء بما يدل عليه معتمد في ذلك على ما تتميز به بعض الألفاظ من خصائص صوتية وما تشيعه بجرسها الصوتي من نَغَم يُسْهِم في إبراز المعنى المراد »(٤٨).

جاء التكرار التركيبي في سورة النبأ في الآيات المتتالية: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ ثم الآية ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ حيث تكونت الجمل من التركيب الآتي:

(حرف العطف (و) + فعل + فاعل + مفعول١ + مفعول٢).

ساهم هذا التكرار التركيبي في تماسك النص وترابط جمله حيث اتسقت في انسجام تام على إيقاع يوحي بإعجاز هذا النص القرآني العظيم، كما تكررت الآيات الخمس الأولى من سورة النازعات تكرارًا تركيبيًا كما يلي:

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ حيث جاء التركيب: (حرف عطف + اسم فاعل + مصدر)

وقيل في "أمرا": «مفعول به للمدبرات »(٤٩) « وهذه الجمل الخمس يحتمل أن تكون صفات لموصوف واحد ويحتمل أن لا تكون كذلك وقد جمع الرازي أقوال المفسرين في ذلك فمنهم من قال: أنها صفات للملائكة، أو صفات للنجوم، أو صفات للأرواح، أو صفات لخيل الغزاة، أو للغزاة أنفسهم، أو صفات لمراتب رجوع القلب إلى الله تعالى»(٥٠) وهذا التكرار أعطى النص تماسكًا وترابطًا بالإضافة إلى ما له من إيقاع موسيقي في تكرار اسم الفاعل والمصدر من الجذر نفسه في كل موضع من المواضع الأربعة الأولى، وفي سورة النازعات أيضًا تكرر التركيب في الآيتين: ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾، ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾ حيث جاء التركيب: (حرف(ف) + (إن) + اسمها + ضمير الفصل (هي) + خبرها)

مع ما يحمله كل تركيب من معنى مضاد للآخر، ففي هاتين الآيتين الإبداع البلاغي حيث أنهما متقابلتان في المعنى ولقد جاء نص السورة بديع الانتظام حيث تكررت قافيته مما أنشأ ما يسمى في علم النص بشبه التكرار الذي ساهم إسهامًا واضح في تماسك النص وائتلافه من ذلك في الآيات الأولى (الراجفة، الرادفة، واجفة) ثم بعد ذلك (الحافرة، خاسرة، الساهرة) وفي الألفاظ (ضحاها، دحاها) ومن التكرار التركيبي مع مقابلة في المعنى ما جاء في سورة الليل في قوله تعالى: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴿٢﴾ وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿١٠﴾ يقول الدكتور محمود نحله: « انظر إلى هذه الآيات كيف تطابقت كلماته في نظام تأليفها وترتيبها، وكيف تضادت معانيه فهو المتفق المختلف »(٥١)، كما نجد في قوله تعالى من سورة العصر: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾، تكرار الأفعال الماضية (آمنوا، عملوا، تواصوا، تواصوا) « وهذه الأفعال تتماثل في مواقع متقابلة في علاقتها بالاسم الموصول (الذين)، والمتوالية (آمنوا) جاءت متغايرة في البنية السطحية عن المتواليات الأخرى فالفعل (آمنوا) حُذِفَ متعلقة، أما المتواليات (عملوا الصالحات، وتواصوا بالحق، وتواصوا بالصبر) فلم تحذف متعلقات الأفعال منها إنما ذكرت»(٥٢)، وفي سورة الإخلاص تكرر التركيب: (لم + الفعل المضارع) في كل من قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾، ولأن هذه السورة اشتملت على توحيد الله وذكر صفاته لذلك جاء التكرار التركيبي فيها لإبراز صفاته تعالى والحث على توحيده، فجاءت الأولى لتبين أن الله تعالى (لم يلد) فنفت أن يكون له ولد، وجاءت الثانية (لم يولد) لنفي أن يكون له والد « فأردف نفي الولد بنفي الوالد، وإنما قدّم الولد لأنه أهم إذ قد نسب أهل الضلالة الولد إلى الله تعالى ولم ينسبوا إلى الله والداً»(٥٣) أما الثالثة فنفت عن الله تعالى أن يماثله شيء، فتكرار الأداة (لم) في بداية كل جملة لتأكيد هذا النفي واستمراره. وفي سورة الناس نجد تكرار حرف السين حيث تكرر (عشر) مرات مما أعطى النصَّ تماسكًا، وانسجامًا، إضافةً إلى البلاغة والإعجاز، هذا الحرف الذي يتناسب في صفاته مع موضوع السورة حيث إنه مهموس وسورة الناس جاءت للاستعاذة من شر الشيطان الرجيم الذي يوسوس بالهمس في صدور الناس، وقد لاحظ ذلك بعض البلاغيين « فتكرار حرف السين في كل آية من آياتها وتوالى في كلماتها حتى صرنا نسمع عند تلاوتها نغما

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

يترجم لنا الوسوسة حتى لو لم نكن نعرف موضوعها، وهكذا يتآلف المعنى والنغم في كتاب الله عزّ وجلّ ويتعاضدان »(٥٤).

ولقد تكررت الأساليب في سور جزء عم تكرارًا واضحًا منها (أسلوب الاستفهام، وأسلوب القسم، وأسلوب الشرط، وأسلوب التوكيد) ومن تكرار أسلوب القسم ما جاء في مفاتيح كل من سورة (النازعات، والبروج، والطارق، والفجر، والبلد، والشمس، والليل، والضحى والتين، والعصر)

ففي سورة الشمس مثلا: التكرار التركيبي في الجمل من قوله تعالى: ﴿ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ حيث جاء التركيب على النحو الآتي:

(حرف القسم (و) + اسم + إذا + الفعل + ضمير متصل (ها).

« إن البناء النحوي لهذه المتواليات متساوٍ، وهذا التساوي هو الذي شكل نسق التوازي، فمن الجانب التركيبي تبدو الكلمات متماثلة في موقعها، ولكن وظيفة التوازي لا تظل مقتصرة هنا على القيمة الصوتية الناتجة عن مثل هذا التركيب، وإنما تتعدى ذلك إلى المعنى، فالمعنى في المتوالية الأولى ينسجم مع المعنى في المتواليات التي تليها وهذا يظهر قدره الأسلوب القرآني على توكيد المعاني التي يريد أن يمنحها للنص »(٥٥).

خاتمة

في ختام هذا البحث أخلص إلى الآتي:

- العنوان هو العنصر الأساسي في تشكيل النص، وقد تكرر العنوان في سور جزء عم تكرار كليًّا في كل من: (النبأ، النازعات، عبس المطففين، البروج، الطارق، الأعلى، الغاشية، الفجر، البلد، الشمس، الليل، الضحى، التين، القدر، البينة، العاديات، القارعة التكاثر، العصر، الفيل، قريش، الماعون، الكوثر، الكافرون، الفلق، الناس) بينما كان العنوان معرف وجاء تكراره في نص السورة بغير تعريف في كل من: (العلق، الهمزة، النصر، المسد) وتكرر العنوان تكرار جزئيًا اشتقاقيًا في كل من: (التكوير، الانفطار الانشقاق، الشرح، الزلزلة) ولم يتكرر العنوان في سورة واحدة فقط هي (الإخلاص).
- إن سور جزء عم تقوم على قضايا عدة منها: إثبات البعث، وبيان أهواله وما يحصل فيه من حساب وجزاء للمؤمن والكافر، ترسيخ مبدأ العقيدة، وطلب توحيد الله ونفي الشرك، وبيان أن الله هو الرب الخالق القادر على كل شيء طمأنة الرسول -صلى الله عليه وسلم- وتثبيته، و التخفيف عنه، ومساندته في دعوته للحق، وقد ساهم التكرار بأنواعه في ترسيخ هذه القضايا.
- المرسل في هذه النصوص هو الله سبحانه وتعالى، وتكرار لفظ (رب) تكرارًا كليًا كان ظاهرًا بوضح ذلك لأنه يحيل على المرسل مما يجعل النصوص مرتبطة ارتباطًا شديدًا به، كما أن لفظ (رب) تعني الربوبية والعبودية أي هو مربيهم وخالقهم ومنشئهم وهو القادر على بعثهم مرة أخرى.
- جاء التكرار الجزئي في سور جزء عم على جذور لغوية مختلفة أهمها الجذر (ذ ك ر) والجذر (ك ذ ب) لما لهما من ارتباط بقضايا هذا الجزء من تذكير بعبادة الله واتباع له وعدم تكذيب ما جاء به رسوله.
- من أكثر الألفاظ المتلازمة في جزء عم لفظي (النار والجنة) أو ما في معناهما من جحيم ونعيم، والتي تربط بينهما علاقة التضاد، وتلازم لفظي (السماء والأرض) والتي تربط بينهما علاقة الاشتمال.
- جاء التكرار بالإحالة بالضمائر بأنواعها المختلفة الظاهرة والمستترة ليساهم في ترابط النص ووضوحه لدى المتلقي.
- خلت سورة الكوثر من التكرار بأنواعه، واحتوت على ضمائر تحيل للمخاطب خارج النص، لكن هذا لا ينفي ترابط نص السورة وتماسكه.
- للتكرار التركيبي أهمية في ترسيخ قضية النص والقصد منه، بالإضافة إلى ماله من أهمية في تماسك النص، فإن له إيقاع خاص يكسب القرآن الكريم تماسكًا وانتظامًا بديعين.
- من الأساليب القرآنية في جزء عم تكرار أسلوب القسم والشرط والاستفهام هذه الأساليب التي تخرج من غرضها الأصلي لأغراض فرعية بلاغية، ساهمت هذه الأغراض في ترابط النص وبيان قضيته.

الهوامش والمراجع:

١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أحمد بن زكريا، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر،١٣٩٩هـ،ج٥،ص١٢٦مادة (كرر).
٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، إسماعيل بن حماد، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ١٩٩م، مادة (كرر).
٣) لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، دار صادر، بيروت،ط٣، ١٤١٤هـ: مادة (كرر) .
٤) معجم اللغة العربية المعاصرة، عمر، أحمد مختار، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ، مادة "ك ر ر".
٥) التعريفات، الجرجاني، علي بن محمد، تحقيق محمد صديق المنشاوي، القاهرة، دار الفضيلة، ص٥٩.
٦) المثل السائر، محمد بن نصر الله ابن الأثير، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، القاهرة، دار النهضة،ج٣ ص١٧
٧) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، عفيفي أحمد، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠١م، ص١٠٦.
٨)علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، الفقي، صبحي إبراهيم، دار قباء للطباعة والنشر،ط١، ١٤٣١هـ ٢ج،ص٢٠.
٩) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، ١٤٠١هـ، ج٢،ص ٥٩-٦٥.
١٠) المثل السائر، محمد بن مكرم بن علي، ج٣، ص ٨.
١١) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، عفيفي أحمد، ص١٠٧.
١٢) التعريفات، الجرجاني، علي بن محمد، ص١٧٥.
١٣) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، عفيفي أحمد،ص١٠٩.
١٤) المرجع السابق ص١١٠.
١٥) علم الدلالة، أحمد مختار عمر، القاهرة، عالم الكتب، ط٥، ص١٠٦
١٦) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، عفيفي أحمد، ص١١١.
١٧) تفسير جزء عم لابن عثيمين، سورة النبأ.
١٨) التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م، ج٣٠، ص٢١٣.
١٩) المرجع السابق، ج٣٠، ص٦٠٠
٢٠) أسرار التكرار في القرآن الكريم، محمود بن حمزة الكرماني، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة، ص٢٥٢.
٢١) التحرير والتنوير،ج٣٠، ص٦٢٥.
٢٢) أسرار التكرار في القرآن الكريم، ص٢٤٥.
٢٣) المرجع السابق، ص٢٤٧.
٢٤) التفسير البياني للقرآن الكريم، عائشة عبدالرحمن، القاهرة، دار المعارف، ١٣٨٨هـ، ج١، ص٢٠٩.
٢٥) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، محمد بن عمر بن حسين الرازي، دار الفكر، ١٤٠١هـ، ج٣٢،ص٧٨.
٢٦) التحرير والتنوير،ج٣٠،ص٤٠٧.
٢٧) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبدالله بن أحمد النسفي، بيروت، دار الكلم الطيب، ج٢، ص٨٠٤.
٢٨) البحر المحيط،ج٨، ص٥٣٥، التحرير والتنوير،ج٣٠، ص٦٣٣.
٢٩) علم لغة النص، عزة شبل محمد، مكتبة الآداب، ط٢، ٢٠٠٩م، ص١٤٥.
٣٠) روح المعاني، الألوسي البغدادي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج٣٠، ص٣٩.
٣١) أسرار التكرار في القرآن الكريم، ص٢٨٤.
٣٢) الإحالة وأثرها في تماسك النص، أنس فجال، رسالة دكتوراه غير منشورة، ص٦٠٨.
٣٣) البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، جميل عبدالمجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، مصر، ١٩٩٨م.

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

٣٤) المرجع السابق، ص١٠٧.

٣٥) علم الدلالة، أحمد مختار عمر، القاهرة، عالم الكتب، ط٥، ١٨٩٨م، ص١٠٣.

٣٦) التفسير البياني للقرآن الكريم، ج٢ ص١٣١.

٣٧) التحرير والتنوير،ج٣٠، ص٣٧١.

٣٨) علم الدلالة، ص٩٩.

٣٩) المرجع السابق، ص١٠٠.

٤٠) الدر المصون، أحمد بن يوسف السمين الحلبي، تحقيق أحمد محمد الخراط، دمشق، دار القلم، ج١٠، ص٧٠٥.

٤١) المرجع السابق، ص١٠١

٤٢) نحو النص، ص١١٣.

٤٣) نسيج النص، الأزهر الزناد، بيروت، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٣م، ص١١٨.

٤٤) الإحالة وأثرها في تماسك النص، ص٣٧٩.

٤٥) التحرير والتنوير،ج٣٠، ص١٤١.

٤٦) التوازي التركيبي في القرآن الكريم، عبدالله خليف الحياني، رسالة ماجستير، جامعة الموصل، ١٤٢٥هـ، ص١٠.

٤٧) لغة القرآن الكريم في جزء عم، محمود نحلة، بيروت، دار النهضة العربي، ١٩٨١م، ص٣٦٨.

٤٨) المرجع السابق، ص٣٤٧.

٤٩) الجدول في إعراب القرآن الكريم وبيانه، محمود صافي، بيروت، دار الرشيد، ١٤١٦هـ، ج٨، ص٢٠٧.

٥٠) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج٣١، ص٢٨-٣٢.

٥١) لغة القرآن الكريم في جزء عم، ص٤٩٨.

٥٢) انظر التوازي التركيبي في القرآن الكريم،ص٦٨.

٥٣) التحرير والتنوير،ج٣٠، ص٦١٨.

٥٤) الجدول في إعراب القرآن الكريم،ج١٥، ص٤٣٠.

٥٥) التوازي التركيبي في القرآن الكريم، ص١١٠.

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2